ماذا تعني الجَرَّة المشروخة؟

إن الأستاذ المربي "فتح الله كولن" شخصية جامعة، وأحاديثه تفيض بمعان عميقة تخاطب طبقات مختلفة من الناس، ولا جرم أن مَن يستمع إلى مثله من العلماء يضرب بحظّ وافر من العلم على حسب مستواه، وأكثر الناس فهمًا هم أغزر الناس علمًا، فمن بلغ مرتبةً سامية في العلم ألفى كثيرًا من الحقائق الخفية بين السطور، ورأى في كلمة واحدة دروسًا عظيمةً لا يتسع لها كتاب؛ فتراه مثلًا وهو يشرح حديث رسول الله ﷺ: **"إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلهِ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ..."**[1] يصف ما في الحديث بـ"الخشية ذات البُعد الالتجائي"، فيسحر من يسمعه بهذا المعنى النفيس، فهو ذو دلالات عميقة عظيمة تملأ الصفحات.

وها نحن نسمّي سلسلتنا هذه بـ"الجرة المشروخة" اعترافًا بعجزنا عن فهمه كما ينبغي، وقصورنا عن تشرّب ما يطرحه علينا من حقائق، وتقصيرنا في تسجيلها والاستفادة منها وإفادة الآخرين بها؛ ومرادنا بعنوان السلسلة المذكور الإشارة إلى أن ما نقدمه ليس إلا مرآة أصغر بكثير من أن تعكس عِلمَ أستاذنا الجليل وحياتَه الروحية والقلبية وزُهدَه وتقواه؛ وقد استوحينا هذه الفكرة من قصة ذكرها مولانا جلال الدين الرومي:

(١) سنن الترمذي، الزهد، ٩.

في قديم الزمان نصب سلطان فسطاطه على نهر الفرات، فأحَبَّه الناس، لأنه فتح قلوب العباد لا البلاد فحسب؛ أجل، أحبّوه، وتمنّوا أن لو تعارفوا، ليحظوا بحبه ورضاه، فهو أهل بر وخير، لذلك كانوا يأتونه في بعض الأيام ويقدّمون له الهدايا؛ وذات يوم قدّم الأغنياء والميسورون هدايا ثمينة للسلطان، فراح أحدُ الفقراء يبحث عن هدية تليق بالسلطان، فلما لم يجدْ شيئًا خطرت على باله جرة مشروخة تقبع في ناحية من بيته، فأخذها وملأها بماء عذب من سبيل القرية، وقصد بها السلطان، فقابله أحدهم وسأله عن صنيعه ووجهته، فلما عرَّفه غايتَه قال له مستهزئًا: "أما تعلم أن الأنهار تجري من تحت قصر السلطان، والماء الذي في جرّتك من العين السلطانية أيضًا"؛ فامتقع لون الفقير وغصّ وانعقد لسانه، ثم قال: "لا ضير، فالسلطنة تليق بالسلطان، والفقر يليق بالفقير؛ فإن لم يكن لديّ هدية قيّمة أقدّمها للسلطان فحسبي أنني أحمل قلبًا مفعمًا بحبّه همّه أن يقدّم ماء عينِه إليه".

وقد عزمنا على تقديم هدية للسلطان بجرتنا المشروخة التي بين أيدينا؛ عسى أن تكون قراءتكم لهذه اللطائف التي أفاضها الله علينا هي هديتنا؛ ونحن نجزم بأن سقي كثيرين من هذا المنهل العذب المورود فيه شكر لنعمة القرب من هذه العين المباركة.

بادئ الأمر كنّا ندوّن شيئًا من الملاحظات نستعين بها في تذكر ما نسيناه من أحاديثه، لكن كان يفوتنا الكثير، فشرعنا في تسجيلها ثم تفريغها بدقة على الحاسوب لنقل ما يذكره تامًّا وافيًا، ثم نقوم بعملية التبييض والتنقيح والتدقيق، ثم نتذاكر نتاج ذلك فيما بيننا.

وها نحن شرعنا نقدّم لكم ماء الحياة -الذي ملأنا به جرّتنا- في

هـذه السلسـلة "الجرة المشـروخة"، وأصلها جزء من موقعنـا الإلكتروني "*www.herkul.org*"؛ وإنما فعلنا ذلك خشية أن يكون في احتكارنا لينابيع أفق القلب والروح نكران لهذا الجميل.

obeikandl.com

obeikandl.com

﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾

سؤال: ما من نبي من الأنبياء إلا وحلّت به مصائب، فتبرّأ من حوله وقوّته إلى حَول الله وقوته، وأيقن أن النصر والفرجَ من عند الله؛ فما مكانة "الحَسْبَلَة"[٢] في حياة رجال الخدمة وهم يواجهون كثيراً من المشكلات ويُمْنَوْن أحيانًا بالإخفاق؟

الجواب: لا يتغلب الإنسانُ -وهو العاجز الفقير المحتاج- على مشكلاته إلا باللجوء إلى الله تعالى القدير المطلق الغنيّ المطلق؛ لذا فمن الأهمية بمكان أن يلجأ العبد إلى الله تعالى إن نزلَتْ به مصيبة أو بلاء ويقول: "حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ".

إنّ هذا الذكرَ دليلٌ على إيمان الذّاكر بأن الله تعالى هو الوكيل الذي إليه مرَدُّ أمورنا كلّها، فإن توجهنا إليه فلن يردَّنا خائبين، ولن يكلنا أبدًا إلى أنفسنا، ولن يدعنا وحدنا.

بَطَلٌ لا مثيل له في أفق الثقة

قال الله لرسوله ﷺ:

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (سُورَةُ التَّوْبَةِ: ١٢٩/٩).

(٢) الحَسْبَلَة: هي قول الإنسان: "حَسْبِيَ الله" أو "حَسْبُنَا الله".

يقول بديع الزمان سعيد النورسي في تفسير هذه الآية: "معناها: إذا تولى أهل الضلالة عن سماع القرآن، وأعرضوا عن شريعتك وسنتك، فلا تحزن ولا تغتمّ، وقل: "حَسْبِيَ الله"، فهو وحده كافٍ لي، وأنا أتوكل عليه؛ إذ هو الكفيل بأن يقيض من يتبعني بدلًا منكم، فعرشُه العظيم يحيط بكل شيء، فلا العاصون أفلتوا منه، ولا المستعينون به حُرِموا مدده وعونه"[٣].

وورَدَ في هذا دعاء أوصانا رسول الله ﷺ أن ندعو به صباح مساء:

"يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ"[٤].

وإن جاز لنا أن نشرح هذا بتفصيل أكثر فلنقل: "اللهم إني أسألك وأنا أسير في سبيلك ألا تدع شيئًا من الفسق والفجور -يضرّ بلباب الأمر ويخلط الحابل بالنابل- يتسلل إلى عملي؛ اللهم لا تكلني إلى نفسي ولا إلى الشيطان طرفة عين، فإنك إن وكلتَني لم أدر في أيّ غيّ سأتردّى؛ ولو تحكمت فيّ النفسُ الأمّارة -وهي ليست محلّ ثقة- فأنا لا محالة مغلوب، أما إن كنتَ وكيلي فلسوف أهتدي إلى الطريق المستقيم وأتمكن من السير عليه؛ فإنّ النفس والشيطان لا يد لهما تمتد إلى عملٍ تُحيطه سبحانك بحولك وقوتك.

سرُّ الأحدية يتجلى في نور التوحيد

لما أعرَضَ قومُ سيدنا إبراهيم عليه السلام عنه لجَأَ هو ومن معه إلى الله تعالى متوكلين عليه، فجابهوا كلّ تهديد، وثبتوا أمام الكفار، وبدؤوهم بقولهم:

﴿**إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ**﴾ (سُورَةُ الْمُمْتَحَنَة: ٦٠/٤).

(٣) سعيد النورسي: **اللمعات**، اللمعة الحادية عشرة، النكتة الرابعة، ص ٧٥.

(٤) النسائي: **السنن الكبرى**، ٩/٢١٢؛ الطبراني: **المعجم الأوسط**، ٤/٤٣؛ الحاكم: **المستدرك**، ١/٧٣٠.

وهذا إعلانٌ منهم أنه لا قيمة لِما يُعبد من دون الله، بل لا تستحق تلك الآلهة شيئًا مما يُنسب إليها، وليست جديرة بأي تكريم أو تعظيم؛ ثم قالوا بلسان من لا حيلة له -معبرين عن تجلي سرّ الأحدية في نور التوحيد-:

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سُورَةُ الْمُمْتَحَنَةِ: ٦٠/٤-٥).

وأستطرد لأشير إلى المسألة التالية: إذا أردنا أن ندرك المنزلة الرفيعة لسيدنا رسول الله ﷺ مقارنةً بالأنبياء الآخرين فلنعلمْ أنّ كلّ تبجيل وتقدير من الله تعالى له كان مَنْ سبقه من الأنبياء يطلبه من الله تعالى طلبًا؛ فمثلًا: سأل سيدنا موسى عليه السلام ربه أن يشرح له صدره، فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (سُورَةُ طَهَ: ٢٠/٢٥)؛ أمّا سيدنا رسول الله ﷺ فقد أُوتي هذا الفضل في مقام الامتنان؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (سُورَةُ الشَّرْحِ: ٩٤/١).

وتذكر الآيات السابقة -في مقام تكريم الله لرسوله ﷺ أن الله تعالى هو حسبه ووكيله، أما سيدنا إبراهيم عليه السلام ومن معه فقد سألوا الله تعالى أن ينعم عليهم بهذا الفضل.

هذا وفي آية أخرى أن سادتنا الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم كانوا يلتجئون إلى الله تعالى، ويعتمدون عليه عند لقاء العدو:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ٣/١٧٣).

أجل، قال سادتنا الصحابة "حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" في موضعٍ يستدعي خوف الإنسان ووجلَه وقلقه وحيرته في الظروف العادية، وكانوا يترقبون لقاء العدو وهم في حالة تحفزٍ قصوى.

رسالة الآية الحَسبية[٥]

يقول الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي ﵀: "حينما جرّدني أربابُ الدنيا من كلّ شيء، وقعت في خمسة ألوان من الغربة، فلما أوشكت جذوة الأمل تنطفئ وطأطأتُ رأسي يائسًا إذا بالآية الكريمة ﴿**حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ (سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ١٧٣/٣) تغيثني قائلة: اقرأني جيدًا بتدبرٍ وإمعان، فشرعت أقرؤُها خمسمائة مرة كل يوم، وكانتْ كلما تلوتُها تكشف عن بعض أنوارها وفيوضاتها الغزيرة...

وكلما تلقيتُ ذلك الدرسَ من تلك الآية الكريمة أحسستُ بقوة معنوية عظيمة، وشعرتُ أنني أملك قوة أتحدّى بها العالم بأسره لا أعدائي الماثلين أمام عينيّ فحسب"[٦].

حقًّا إن من انشرح صدره هكذا لا يضرّه همٌّ ولا كدر، ولا يصده عن غايته سجنٌ أو تضييق؛ فسجنه "مدرسة يوسفية"[٧] يؤدِّي فيها رسالته، بل لو تأتى له الخروج من السجن فلربما آثر البقاء حتى يُتمّ ما شرع فيه من أعمال مباركة لتصبح نافعة لمن في السجن.

هذا هو الانشراح الحقيقي والفسحة والسَّعَة الحقيقية؛ أما مَن ضاقت به حياته الروحية والقلبية فلا شك أن الضنك والاضطراب بانتظاره، وأن الآلام تلو الآلام ستدهمه حتى إنه لا يجد مخرجًا من هذا الضيق وإن حاز الدنيا بأسرها.

---

(٥) **رسالة الآية الحسبية**: من مؤلفات الأستاذ بديع الزمان سعيد النُّورْسي، وهي "الشعاع الرابع" من كتاب "الشعاعات"؛ هذه الرسالة عبارة عن نكتة مهمة للآية الكريمة ﴿**حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ (سورة آل عمران: ١٧٣/٣).

(٦) سعيد النورسي: **الشعاعات**، الشعاع الرابع، ص ٦٧.

(٧) **المدرسة اليوسفية**: اسم سمى به الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي السجونَ التي سُجن فيها هو وطلابه "طلاب النور" مستلهمًا مما قام به سيدنا يوسف ﵇ في السجن من إرشاد؛ فإن الأستاذ وطلابه اقتفوا آثار النبي الجليل يوسف ﵇ في هذا، وهدى الله على أيديهم كثيرًا من أهل تلك السجون.

أجل، إن مَن لم يستطع أن يرقى بعالمه الداخلي يتعذر عليه أن ينجو من معاناته وضيق صدره وإن ملك مصانع تنتج له يوميًّا آلاف اليخوت وأفخر السيارات، بل ولو أحرز كلَّ الإمكانيات المادية؛ أما الراحة والسعادة الحقيقية فهي ذلك الانشراح الذي يقذفه الله في قلب العبد، فإذا نزلت بهذا العبد مصائبُ كالجبال صهرَها في قلبه وأحالها إلى ألعاب نارية تبعث السعادة فيمن حوله.

ولعل تلك التجليات التي أُلقيت في قلب الأستاذ النورسي ﵀ تفيض على قلوبنا حين تطبع مشكلاتنا آثارها في عالم خيالنا لتزلزل تصوراتنا وأفكارنا؛ نعم، إن مَن دأب على عقد صلة وثيقة مع الله وهرول نحو الإيمان الكامل والإخلاص الأتمّ خاصةً قد يحظى بأكثر من هذه التجليات، لكن معظمنا لا ينصت لحديث قلبه ولا يكترث لخواطر كهذه قد ترد على عقولنا بل نعدّها أمورًا مألوفة ترد على خاطر كل إنسان، وبذلك نغفل هذا الضرب من التجليات؛ أما العظماء فلم يكونوا يعدونها أمورًا عبثية مألوفة، بل يرونها إنذارات وتحذيرات، ويقولون: "لا جرم أن لهذه الأمور معنًى وحكمة"؛ والأستاذ النورسي عَدَّ هذا المعنى النفيس الذي أُلهِمَه قلبُه ذا قيمة كبيرة، فعُني به، وبدأ يردد "حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" خمسمائة مرة في اليوم.

إن في تَكرار الأستاذ لهذه الكلمة المباركة خمسمائة مرة يوميًّا دلالة على أنّ للتكرار حكمة تساعد على فهم المسألة بعمق؛ فإذا أردنا أن نحصن أنفسنا من شر الأعداء فلنلجأ إلى حول الله وقوته، ولنشحذ همتنا ونردد كل يوم خمسمائة مرة بل ألف مرة:

"حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ"

ويمكن أن نقوم بهذا كما نفعل في قراءة بعض الأذكار إذ نقسمها فيما بيننا: فلان كذا مرّة وعلّان كذا مرة؛ لنحظى بثواب الشركة في الأعمال الأخروية، فلو اجتمع عشرة منّا وقرأ كلّ منهم هذه الكلمة المباركة مائة مرة نرجو أن يُكتب لكل واحد ثواب ألف.

وفي النجاحات "حَسْبِيَ اللَّهُ" أيضًا

على القلب المؤمن أن يلجأ إلى الله تعالى وقت الظفر والنجاح كما يلوذ به وقت المصائب والكوارث، وهذا يعني أن مدى الكمية والكيفية في مسألة الحسبلة يختلف من شخص إلى آخر؛ فمنهم من يقول "حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" في المصائب أو المشكلات المعضلة فقط، ويتوجه إلى الله تعالى بهذا الذكر عندما يقع في ورطة وتنقطع به السبل، فتُحَلّ مشكلاته بإذن الله وعنايته ومزيد فضله وإحسانه؛ ومنهم من يقوله على الدوام، ويلجأ إلى حول الله وقوته صباح مساء، لا سيما من انكشفت له الآفاق، وسما فبلغ أفق السر والروح، فإنّه يغدو وكأنه يشعر بأثر قدرة الحق تعالى حتى في أدنى أموره الخاصّة.

أجل، إنهم يعيشون في معارج "حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" وإنْ في أيسر الأمور التي يُعتقد أن تحلّها الإرادةُ الإنسانية في الظاهر، مثل نظم الخيط في الإبرة أو وضع اللقمة في الفم، بل إنهم يفكرون أحيانًا كالجبرية المتوسطة، ويقولون بـ"الاستطاعة مع الفعل"، وليس لهم من أفعالهم سوى القصد والمَيْل بل سوى التصرف في المَيل، ويكررون على الدوام: "لا خالق إلا الله"؛ وهذا في الحقيقة تعبير عن التوحيد الخالص.

والحقّ أنّ اتباعنا للسنة النبوية الشريفة بأن نكرّر سبع مرات في أدعية الصباح: "**حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**"

يـدلّ أننـا أعلنّا أنه ﷻ هو وكيل كل شـيء، الكفيـلُ بحلّ ما يعرض لنا من مشكلات نهارًا، فإذا ما أقبل الليل وكررنا هذا الدعاء مرة أخرى نكون قد استودعنا ذا الرحمة الواسعة ليلَنا.

اللهـم مُـنّ علينا بأن ننسـج كلّ لحظـة من حياتنا أوشـحةً نورانية من السُّنة السَّنيَّة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

obeikandl.com

obeikandl.com

ساعات الإصغاء إلى أرواحنا: الأشهر الثلاثة

سـؤال: هلّا تُسْدُون لنا نصيحةً نتمكّن بها من الاستشعار بنشوة الأشهر الثلاثة المباركة، والاستفادة الحقّة من أجوائها الروحية والمعنوية؟

الجواب: ننوّه بدايةً بأنّ الأشـهر الثلاثة هي أعظمُ الأوقات المباركة؛ ففيهـا قـد يصبح المرءُ أقـربَ إلى الله تعالى، ويغدو أهـلًا لأن يتغمّده الله بواسـع رحمته، فينسلخ من ذنوبه ويسيح في أفق القلب والروح.

والحـقّ أنّ المـرء فـي حاجة دائمة كلّ عـام إلى فترة نَقاهة سـماوية، يزكّي فيها نفسـه، ويربّي روحه، ويصفّي قلبه؛ وهذه الأشـهر المباركة من أكبر الوسائل لتحقيق هذا.

ولا جرم أنّ التخلص من الأعباء الجسمية والنفسية في هذه الأوقات المباركـة والارتقـاءَ إلـى أفقٍ معين والوصـول إلى مسـتوى معين يتطلّب بدايـةً إجراءَ عملية خطيـرة من التفكّر والتذكّر، ولا بدّ عند إجرائها من أن يَفتح المرءُ قلبَه وروحَه دائمًا على المعنويات، أي إنّ عليه أن يحاول فهم المسائل الإيمانية والقرآنية بملكاته الذهنية والعقلية بالمدارسة والمذاكرة، وأنْ يعبّ شيئًا فشيئًا من سيل الأنوار والمعنويات الهادرة عليه.

obeikandl.com

التوجّه يُقابَل بالتوجّه

لا يـزال كثيـر مـن الناس يتفوهون بطيّـب الـكلام وأروع البيان حول هذه الأشهر المباركة ولياليها وأيامها وفقًا لمستواهم وسَعَة أفقهم، لافتين الأنظار إلى جمالياتها التي تغذّي حياة المؤمن.

والوقـوف علـى هـذه المؤلفات -التـي تُقـدَّر قيمتُها بالكنـوز- كلمةً كلمةً، وتحليلُها وفهمُها واسـتيعابُها بالمدارسـة والمناقشـة له أهميةٌ بالغة في فهم الواردات واستشـعار الفيوضات التي تنهال على الإنسـان بفضل هذه الأشهر المباركة.

أجـل، لا بـدّ مـن تجنّب القراءة السـطحية الشـكلية ومن سـبر أغوار المسـألة حتى تتحقق الاستفادةُ الكاملة مما كُتِبَ عن الأشهر الثلاثة، وإلّا تعذّر على المرء أن يستفيد تمام الاستفادة ممّا قرأه أو سمعه.

ولا يسـتطيـع المرء أن يتلذذ ويستشـعر حقًّا بجماليات هذه الأوقات المباركـة وأذواقهـا ولذائذهـا التي يجد طعمها في قلبـه إلا بعد أن يعرف ويضـع فـي حسـبانه أنها أَشْـهُر جمـع الغنائم، وبعـد أن يسـتغلّها بليلها ونهارها ولا يضيّع لحظةً منها؛ فمثلًا إنْ لم يعزم المرء ويصمّم على قيام الليـل ولـم يتوجه إلـى الله ولم ينهل من فيوضات الليالـي فإنه يتعذر عليه أن يشعر بعمق جماليات هذه الأشهر المباركة أو يتلذّذ أو يستمتـع بها.

أجل، إن لم يبدأ الإنسـانُ هذه الأشـهرَ بشـدٍّ معنوي قوي، ولم يَنذر نفسـه للعبادة استشـعارًا لحقّ العبودية، ولم يفرّغ نفسـه تمامًا لهذا الأمر، فلـن يمكنـه استشـعار مـا في هـذه الأوقات المباركـة وإن انهمـرت عليه ألطافها بغزارة، بل قد يقيّم ما قيل عنها حسـب إدراكه واسـتعداده، ويعده تكلّفًا وخيالًا.

أجل، إن استشعار الفيوضات التي تغمرنا من رأسنا إلى أخمص قدمينا في هذه الأشهر المباركة مرهونٌ بدايةً بالإقرار بها والإقبال عليها؛ لأنّ التوجّه يُقابَل بالتوجّه، فإن لم تُقبِلوا على هذه الأشهر بروحها ومغزاها فلن تفتح لكم أبوابها، بل إنّ الكلمات الرنّانة البراقة التي قيلت عنها تنطفئ وتذبل في أنظاركم وكأنّها جسدٌ لا روح فيه ولا حياة؛ بل إنّ عبارات ابن رجب الحنبلي التي تعزف على الوتر الحساس وأقوال الإمام الغزّالي التي تبعث العشق والشوق في القلوب لا تجد صداها في قلوبكم؛ لأنّ الكلمة لا يكون لها وقعٌ أو تأثير إلا إذا تهيّأت لها عقول المخاطبين وإدراكاتهم وصدورهم تهيُّؤًا يناسب قيمتها.

ومن ثمّ ينبغي للمرء أن يتبنى هذه المسألة وأن يصبح رجبيًّا وشعبانيًّا ورمضانيًّا؛ أجل، عليه أنْ يتوحّد مع هذه الأوقات السعيدة حتى يتسنّى له استشعار ما تبثّه في روحه وإدراكه؛ وإلا فإنْ ظللتم كما أنتم ولم تنأوا بأنفسكم عن السطحية ولم تحقّقوا في ماهية هذه الشهور، فستدخل هذه الكلمات الجميلة التي تدور حولها من أُذُن وتخرج من أخرى.

وعلى ذلك فمن يُقبل على سفاسف الأمور، ولا يسعى إلى تجديد نفسه في موسم الغنائم هذا، ولا تتّسم أفعاله وسلوكياته بالجدّية والاتّزان فمن الصعب جدًّا أن يستفيد من مثل هذه الأوقات المباركة.

البرامج المناسبة للأوقات المباركة

وللمسألة وجه آخر ذو صلة بروح المجتمع ورضاه بالأمر؛ والواقع أن الشعورَ والإحساسَ بسعة هذه الأشهر وعمقها الحقيقي شأنُ من يحلِّقون في أفق القلب والروح، والحق أن لمجتمعنا معرفة عامةً بقدر هذه الأشهر الثلاثة وبركتها، لذا يرتاد المساجد، ويتوجه إلى الله تعالى؛ ويمكن الاستفادة من هذا الواقع، فهو طريق مهمّ إلى قلوب الناس لنبلغهم

رسائل معينة، وذلك بتنظيم برامج وأنشطة مختلفة في هذه الأوقات المباركة؛ ولنا في ليالي "المعراج ونصف شعبان والقدْر" أن ننظم برامج خاصّة تخاطب أهل عصرنا بشرط الالتزام بروح الدين؛ وبهذا نكون قد استثمرنا تلك الليالي المباركة في تقريب الناس إلى الله، وإشعار القلوب بحقيقة الدين؛ وكما يمكن إشعار قلوب الوافدين إلى المساجد ببعض الحقائق يمكن أيضًا استغلال لقاءات المدارسة والمذاكرة ومجالس العلم؛ ويحسن كذلك استغلال اهتمامات وطموحات من يعرفون عظيم قدر هذه الأشهر الثلاثة.

وأريد أن ألفت الانتباه هنا إلى بعض الأمور التي أراها مهمةً في هذه البرامج: إن غايتنا من استغلال هذه المناسبات المختلفة وتنظيم جميع هذه الفعاليات هو تقريبُ الناس خطوة خطوة إلى الله تعالى بعوالمهم الفكرية والحسّية، فإذا لم تبلغ بنا هذه البرامج والأنشطة إلى ذاتيتنا، ولم ترشدنا إلى سبيل معرفة أنفسنا، فإن هذا يعني أننا نشتغل بما لا طائل من ورائه؛ أجل، إن كنا نعجز عن التعبير عن الحقائق الإلهية، ولا نستطيع أن نقرّب الناس من سيد السادات عليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات أكثر، أو إن كنا ننظّم برامج تخاطب أهواء الناس ورغباتهم، ولا يخرجون إلا بقول: "لقد أمضينا لحظات لطيفة"؛ فهذا يعني أننا أسرفنا في الوقت، أو أننا اقترفنا إثمًا؛ وذلك أن كل سبيل لا تؤدي إلى الله ﷻ وإلى رسوله ﷺ هي سبيل خدّاعة؛ نعم، إن تسلية الناس وتنظيم الحفلات والمهرجانات ليس شأن ولا وظيفة القلوب المؤمنة التي ترغب أن تكون ترجمانًا للحق والحقيقة.

وللناس في يومنا هذا أنماط حياة فيها لهو وتسلية، فربما يخدعكم ما يُظهرونه من اهتمام في هذا الموضوع، حتى إنكم حين تنظرون إلى

سـرورهم قـد تظنون أنكم قمتم بعمل نافـع، بينمـا الأهمّ من اهتماهم هو صحـة هذا العمل في ميزان الشـرع؛ فعليكم أن تهرْولـوا دائمًا وراء الحق حتى وإن لم يكن هناك اهتمام بالفعالية القائمة أو كانت المشـاركة قليلةً، أي إن تقديـر النـاس وتصفيقهم ليـس هو المهم، بل المهـم هو أن يكون البرنامج الذي تنظّمونه يضيف شيئًا لحياتنا القلبية والروحية.

فـي هـذه الفتـرة الزمنية المباركة التـي تغرق فيها السـماوات في لجة الأنـوار وتـزدان الأرض بالموائـد السـماوية علينـا أن نوجه النـاس دائمًا إلـى التعمق فـي حياتهم القلبية والروحية، وأن نربط كل عمل سـنضطلع بـه بالأهـداف السـامية والغايـات العاليـة، حتـى إنـه لا بد أن نغـذّي في كل مـرة قلـوب النـاس معنًـى وروحًا جديديـن، ونجعلهم يُبحِـرون بنهَم إلى المعنويات؛ ولتحقيق هذا علينا أن نستهدف من خلال هذه الفعاليات كلهـا ترغيـب الناس في الآخـرة، ونحرّكَ فـي القلوب الشـوقَ إلى الفوز بالسعادة الأبدية والخوفَ من الخسارة، وأن نسعى في النهاية إلى أن يعي الناس روح الدين.

والحاصل أنه لا بد من جعل الجوامـع والجماعات والجُمَـع والأشهر الثلاثـة المباركـة: رجـب وشـعبان ورمضان، ومـا فيها من ليلـة المعراج ونصف شـعبان والقدْر، وسـيلةً لتوجيه الناس إلى الله تعالى؛ إن كل لحظة مـن هذه الأوقات المباركة مواتيـة لبلوغ الخلود، فينبغي أن تهدف جميـع ما فيها من فعاليات إلى تحقيق الغايات السامية النبيلة.

obeikandl.com

أبلغ دعوة لجلب العناية الإلهية

سؤال: مِن أُسس الإخلاص ودساتيره عند الأستاذ سعيد النورسي: "أن تعدّوا مزايا إخوانكم مزاياكم، وفضائلَهم فضائلَكم، وأن تفتخروا بها شاكرين لله"[٨]؛ فكيف نفهم هذا الدستور؟ وما الأمور التي تبلغ بنا أفق الفخر بمزايا الإخوان، ومشاعرُ الحسد والغيرة كامنةٌ في طبيعتنا البشرية؟

الجواب: كثيرًا ما يشير القرآن الكريم إلى أن العبادة لا تكون إلا لله، ويستخدم مفهوم "الإخلاص" تعبيرًا عن هذا، قال تعالى:

﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (سُورَةُ الزُّمَرِ: ٢/٣٩).

أمر ربنا تبارك وتعالى في هذه الآية في أوائل سورة الزُّمَر بأداء العبادة مع التحلي بالإخلاص، وفي السورة نفسها جدَّد الأمر بالإخلاص، فقال:

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (سُورَةُ الزُّمَرِ: ١١/٣٩).

ثُم أكدَّت السورة مرةً أخرى أهمية الإخلاص، فقال ﷻ:

﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ (سُورَةُ الزُّمَرِ: ٣٩/ ١٤).

أهمُّ وسيلة لحصول التوفيق الإلهي

كتب الأستاذ النورسي ﵀ في الإخلاص رسالتين اثنتين أوجز فيهما كل ما في المسألة:

(٨) سعيد النورسي: **اللمعات**، اللمعة الحادية والعشرون، الدستور الرابع، ص ٢٢٤.

obeikandl.com

الدستور الأول لبلوغ الإخلاص: ابتغاء مرضاة الله تعالى في كل شأن، بمعنى ألا ينشد المرء أي مطمع دنيوي أو أخروي عند امتثاله لما أُمر به، وأن تكون غايته الوحيدة هي رضا الله فحسب، أما من سعى واجتهد ثم أُكرِم بشيء من الثمار والمكافآت دون طلب فتلك عاجلُ بُشرى المؤمن، فليقابل ذلك بالشكر والحمد.

لكن في هذه الأيام التي طغت فيها الأنانية حذارِ أن يغيب عنا ولو لحظة أن هذه النعم التي نُمطَر بها زخًّا زخًّا قد تكون "استدراجًا"؛ وإن شئت ألا تخسر في وقت هو أدعى للكسب فقل كما قال الشيخ محمد لطفي أفندي[٩]:

يا لَها مِنْ نعمةٍ هَذَا الْحَقيرُ لم يَكُنْ أهلًا لها
فما سرُّ هباتِ كلِّ ذاك اللطف والإحسانِ؟

لا ينبغي أن نأمن الاستدراج ألبتة؛ فليُعلَم أننا إنما حظينا بألطاف تتجاوز طاقاتنا وتفوقها بفضل العناية الإلهية.

ثمة رجال عظام ذوو حكمة وبصيرة يستطيعون قراءة الأحداث قراءة صحيحة، إلا أنهم لم يحظوا أو يوفقوا بمثل هذه الخدمات الجليلة التي تكرم الله تعالى بها على أناس صغار مثلنا؛ فلنلجأ إلى الله تعالى ولنرفع أكفّ الضراعة إليه قائلين: "اللهم إن كانت هذه النعم التي أسبغتها علينا ستفضي بنا إلى البغي والطغيان فإنا نستعيذ بجنابك منها، اللهم إنا نتوسل إليك أن تجيرنا من الطغيان".

(٩) **محمد لطفي** (١٢٨٣هـ/١٨٦٨م – ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م): عالمٌ زاهدٌ وشاعرٌ صوفي، ولد في محافظة أرضروم شرقي تركيا، حصل على الإجازة العلمية من كبار علماء عصره، وبعد أن عُيّن إمامًا وخطيبًا انتسب لشيخ النقشبندية محمد بيري كفراوي. عُرف بين الناس بـ"إمام ألوار"، واشتهر بلقب "سيدي أفه"، نظم أشعارًا بالعربية والفارسية والتركية، نُشرت فيما بعد تحت عنوان "خلاصة الحقائق".

إن التحلّي بالإخلاص الذي له كل هذا القدر من الأهمية في حياتنا الدينية يتناسب طرديًّا مع قوة الإيمان؛ فلو أنكم تدبرتم الأوامر التكوينية والتشريعية، وسلكتم طرقًا تعبر بكم من الإيمان التقليدي إلى الإيمان التحقيقي، وتوجهتم على الدوام إلى ربكم ﷻ قولًا وفعلًا وحالًا، فإن الله تعالى سيجود عليكم يومًا بإشعال جذوة الإخلاص في قلوبكم كما أشعل جذوة الإيمان من قبلُ؛ فتوفَّقون لأداء ما تُكلَّفون به بإخلاص تام بفضل الله تعالى وعنايته.

نعم، إنّ منع الإنسان نفسَه من مشاعر التظاهر، وإدراكَه لقصوره وعيوبه، واستغفارَه الله فورًا إذا ما تلفظ بكلمة "أنا" وتقويمَه لمشاعره بل كبْحَها مباشرة، كل هذا منوطٌ بزيادة اليقين في الإيمان والاعتكاف في حِمى الإخلاص، فمن حظي بهاتين الخاصيتين وُفِّق في مشاركة إخوانه في العمل؛ إذ يعلم أنه من المحال أن يعمل مثقال ذرةٍ خيرًا من دون عناية الله تعالى وفضله، وأنجعُ وسيلة لتحقيق النجاح وبلوغ فضل الله تعالى وعنايته هي الوفاق والاتفاق.

من أجل ذلك عُنِيَ الأستاذ بديع الزمان بأهمية الشخصية المعنوية وذكرها في مناسبات مختلفة، فهو يراها ذاتَ قدر في بلوغ الإيمان التحقيقي وحسن الخاتمة، ويرى أن الحسنات التي يعملها فردٌ من جماعة تُكتب لأفراد الجماعة كلهم، فعملٌ واحدٌ يقوم به فردٌ يصبح ألفًا بسرِّ الشَّركة الأخروية في العمل.

مثلًا قد يشرع الشخص في الوعظ ببلدة ما، وثمة عشرةٌ آخرون يفعلون ذلك في البلدة نفسها بروح الأخوة، فكلٌّ منهم قد يحظى بثواب جزيل وكأنه قد قام بألف عمل، لكن لا يعتمد المرء على هذا لأنه لا علم له بما كُتِبَ في ميزان حسناته، فلا يضيع ثواب عمله؛ إذ إنه لا يدّعي أن

مـردّ هذه الجماليـات إليه، ويوم القيامـة يقول العليم الخبير: "لقد سـرتم معًـا، وتلاءمـت خطاكم، ولم يكن أحد منكـم حجر عثرة في طريق أخيه، فجعلتُ التوفيق حليفَكم فيما قمتم به في الدنيا من أعمال أخروية، فاليوم أَجْزِيكـم علـى ما قدّمتم بروح الشـركة الأخروية، فأعطـي كلًّا منكم مثل ثـواب كلّ فرد في الجماعة"؛ وبذلـك يُضاعف ثوابُ أعمال صغيرة قاموا بها بروح المشاركة الأخروية.

عطاء غير متوقع

في بعض الأوقات والأحوال يضاعف الله ﷻ بعضَ الأعمال الصغيرة أضعافًا كثيرة لملابستها لظروف ما.

مثلًا رباطُ سـاعة على ثغر الوطن قد يعدل عبادة سـنة، والشـهيد في سـبيل الله يرتقـي مباشـرة في الكمـالات إلى أعلى عليين وكأنه قد ركب مكـوك الفضـاء، وهكذا العبادة في ليلة القدر، فهي خير من ألف شـهر إن أحسنّا استغلالها.

رأينـا فـي الأمثلـة السـابقة أن الله ﷻ يضاعـف وينمّـي ثـواب بعض الأعمال لملابستها لظروف خاصة، فيجعل الحسنة كسنبلة فيها ألف حبة؛ وهكذا العمل داخل إطار الشخصية المعنوية، له قيمة جدّ متميزة عند ربنا تبـارك وتعالـى وهو يُعدّ بعدًا من أبعاد الإخلاص، ويبلـغ هذا ذروته بفخر الفرد من باب الشكر بـمزايا إخوانه وشركائه في هذه الشخصية المعنوية.

ذات يوم أراد الأسـتاذ النورسي ﵀ اختبار شعور الإخلاص والأخوة لدى طلابه، فقال لأحدهم: إن خط زميلك في استنسـاخ الرسـائل أجمل من خطّك، فما كان من المخاطب إلا أن طار بكلام أسـتاذه فرحًا مفتخرًا بأن خط أخيه هو الأحسـن، فحمد الأسـتاذ النورسـي ربه سبحانه وتعالى

على ما لدى طلابه من شعور الإخلاص والأخوة، وقال: "راقبتُ قلبه وأمعنت فيه بدقة، وعلمت أنه ليس تصنعًا، بل شعرت أنه شعور خالص، فحمدت الله تعالى على أن في إخواننا من يحمل هذا الشعور السامي، وسينجز هذا الشعور بإذن الله الكثيرَ الكثيرَ من الخِدمات، والحمد لله أن ذلك الشعور الأخوي أخذ يسري في صفوف إخواننا في هذه المنطقة"[١٠].

نعم، إذا كان العمل استنساخًا ونشرًا وتوزيعًا لكتاب مثلًا فلا يهمّ من الذي فعل، فليفرح المرء بأن أخاه هو من قام بهذا، وعليه أن يؤثر غيره ليحافظ على خلوص قلبه لأن النجاح في أي أمر له جوانب تنذر بالخطر؛ فقد يعزو الإنسان هذا النجاح إلى عقله وعلمه ومهارته، وقد يسيطر عليه مثل هذا الشعور لتقدير الناس وثنائهم عليه وإن لم يكن قد فكر فيه ابتداء؛ لذا ينبغي أن يسعد المرء عند قيام أخيه بهذا الأمر، وأن يفتخرَ بمزايا أخيه شاكرًا لله فيحصل على ثواب شكره؛ وهذا ليتقي كل تلك المخاطر ولئلَّا يُترَك الأمر ويُهمَل، ولْيُعلم أنه سيكتب له في صحيفته مثل أجر ما أنجزه أخوه، وهكذا يُضاعف ثواب ما يُؤدَّى في جماعة؛ هذا وإن تشجيع الإنسان لأخيه وتهليله له قمعًا لأنانيته وكبحًا لجماحها سيعود عليه بأنواع من الجزاء والثواب، وقد يسهم تهليل الإنسان لأخيه وتقديره له في انكشاف قدرات هذا الأخ ومواهبه، ويشجعه على أداءٍ أكثر تميزًا في الأعمال المهمة الأخرى، فمن كان سببًا في هذه الأعمال كلّها فسينال حصتَه من ثواب ما قام به إخوانه بلا ريب.

المذاكرة مفتاح لأبواب الإخلاص الأتمّ

ذكرنا آنفًا أن الإخلاص والصدق والوفاء يتناسب تناسبًا طرديًّا مع الإيمان؛ فالإنسان يوفَّق إلى الإخلاص بقدر عمق إيمانه، إذًا عليه ألا

(١٠) سعيد النورسي: الملاحق، ملحق بارلا، ص ٥٤.

يكتفي بما حصّله في مسألة الإيمان، بل عليه أن ينقّب ويقلّب ويحقّق دائمًا في الأوامر التشريعية والتكوينية قائلًا: "هل من مزيد؟"، حتى يقطع المسافات في سبيل الإيمان والمعرفة.

أجل، على الإنسان أن يسعى ويجتهد بلا فتور في هذا السبيل، ويطوّف في مراتب اليقين، ويرقى دائمًا من مرتبة إلى أخرى.

ثم إنه يجب أن يدعم بعضنا بعضًا لتغدو دساتير الإخلاص روحًا لحياتنا، فإذا ما اجتمعنا تناقشْنَا وبحثنا في مثل هذه المسائل، ولكن حذار أن يتسم هذا الأمر بالسذاجة والسطحية كأن تقول لفلان مباشرة: "عليك بالإخلاص!".

وإليكم هذه الحادثة مثلًا: لما كنت طالبًا لم يكن لي إلا بنطال واحد، أغسله، ثم أضعه تحت الفراش لألبسه مكويًّا في الصباح، لا أعلم فلعل هذا ضعف أو عقدة نقص لكوني من أسرة فقيرة، وذات يوم جاءني صديق مقرّب وقال -وهو يقصد البنطال المكوي-: "أما كان الأولى أن تتقي الله بعض الشيء؟"؛ لا فضّ فوه، يا له مِن صديق!، لكن لم أستطع أن أستوعب حتى الآن علاقة التقوى بكيّ البنطال.

أجل، ليس من الصحيح أن نحدّث مخاطبينا بأسلوب كأننا نملي عليهم أوامرنا حتى وإن كنا مخلصين في هذا، خاصة أننا عندما نستخدم أسلوب التعالي تجاههم ونستثني أنفسنا ونُزكّيها نكون قد تجاوزنا الحدّ، أمّا الطريق أو المنهج المتعين في هذا فهو إعمالُ الفكر في بحث المسائل ومناقشتها ومخاطبةُ الآخرين بألطف الأساليب وأنسبها حتى لا نجرح مشاعر أحد أو نكسر خاطره.

وقد حملت أهمية الإخلاص الأستاذَ بديعَ الزمان على أن يوصي

بقراءة "رسالة الإخلاص"[١١] مرة على الأقل كل أسبوعين، لعل هناك من قرأ هذه الرسالة المهمة عشرات المرات، وإذا ما ذُكرت كلمة من أي فقرة أكملها كلها عن ظهر قلب، لكن القراءة السطحية لا تكفي، بل لا بد أن تكون القراءة أكثر عمقًا وشمولية ليغدو الإخلاص روحًا لحياتنا، ويتشربه القلب والروح.

أجل، لا بد أن نقوّم طريقة القراءة ونجددها حينًا بعد حين حتى نخلّصها من الرتابة ونضفي عليها حيوية وعمقًا جديدًا.

مثلًا ابحثوا الموضوع بالتفصيل، وعودوا به إلى الكتاب والسنة، ثم ادرسوه وحللوه معًا في جلسة مذاكرة ومناقشة، فإن فعلتم فستقولون: "الحمد لله أننا استفدنا من هذا الموضوع، فكم من الأمور كنا نجهلها، وكم مسألة مهمة اكتشفها هذا العالم الجليل في عهد مبكر، فرغم قراءتنا مرارًا لهذا الموضوع لم نكن ندرك أهمية هذه المسألة بجوانبها كلّها".

نعم، إن استخراج أعذب الأفكار من الأعماق منوطٌ بالمذاكرة والمناقشة، وفي المثل: "الْعِلْمُ بِئْرٌ دِلاؤها الْمُذَاكَرَة".

أجل، إن لطَرْقِ المسائل بالمذاكرة والمناقشة أهميةً كبيرة جدًّا، قال ﷺ: **"مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ"**[١٢]؛ وردت في الحديث عبارة "يَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ"، ومعلوم في الصرف أن "التدارُس" من باب "التفاعُل" الدالّ على "المشاركة بين اثنين فصاعدًا"، أي إن أي كلمة من هذا الباب تدل أن شخصين أو أكثر قاموا بعمل واحد، فالتدارس هو مباحثة ومناقشة لمسألة ما في حلقة علم بين

(١١) سعيد النورسي: **اللمعات**، اللمعة الحادية والعشرون، ص ٢١٩.

(١٢) **صحيح مسلم**، العلم، ٣٨.

شخصين أو أكثر، وللشيخ محمد لطفي أفندي في أهمية حلقة العلم:

إلى الحَلْقةِ أيا طالبَ فيضِ اللهِ إلى الحَلْقةِ هَلُمّ!

إلى الحلقة أيا عاشق نور الله إلى الحَلْقَةِ هلُمّ!

وفي حديث آخر يقول ﷺ: **"إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَؤوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: "مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟" فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: "وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟" قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: "وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟" قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ، قَالَ: "فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟" قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: "وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟" قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: "وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟" قَالُوا: لَا، قَالَ: "فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟" قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، فَيَقُولُ: "قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا"، فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، فَيَقُولُ: "وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ"**[١٣].

إذًا علينا أن نعمل بروح الأخوة لنبلغ الإيمان التحقيقي والإخلاص، بل علينا أن نطبّق مبدأ الشركة في بحث المسائل على أرضية المذاكرة، هذا في باب الأسباب، وكذلك علينا أن نعتصم بالدعاء ونلوذ بالعناية الإلهية؛ عسى الله أن يمنّ علينا جميعًا بروح الأخوة التامة والإخلاص الكامل في فترة حرِجة طغت فيها الأنانية.

(١٣) صحيح البخاري، الدعوات، ٦٦؛ صحيح مسلم، الذكر والدعاء، ٢٥ (واللفظ لمسلم).